هبة الله بن علي بن هبة الله[١]

أبو الفَضْل، مجد الدين، أُستاذ الدَّار، ابنُ الصَّاحب.

ولاه المستضيء أُستاذ الدار، وأقرَّه النَّاصر، وقرَّبه تقريباً زائداً، فبَسَطَ يده في الأموال، وسَفَك الدِّماء، وسبَّ الصحابة ﷺ ظاهراً، وبَطِرَ بَطَراً شديداً، وعَزَمَ على تغيير الدَّولة، وكَثُرَتِ السِّعايات فيه إلى الخليفة، وأُشير عليه بقَتْله وإلا صَعُبَ أمره، فاستدعي يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول إلى دار الخِلافة، فعلم أَنَّه مقتول، فاغْتَسَلَ غُسْلَ المَيِّت، وودَّع أهله، وخَرَجَ، فمرَّ على دار الطَّبْل قُبيل الظهر، فقال لعريف الطَّبَّالين: دَخَلَ الوقت؟ فقال: قد قَرُبَ، فتطيَّر، فلما حَصَلَ في بعض الدَّهاليز وَثَبَ عليه ياقوت شِحْنة بغداد، فقتله، وماجت بغداد، فأخرج رأسه، فعُلِّق بباب النّوبي، فسكَنَ النَّاس، وعمره إحدى وأربعون سنة، ووجدوا في داره [ما لم يوجد في دور الخلفاء][٢] من العين ألف ألف وخمس مئة ألف دينار، ومن الخيل والبغال والمماليك والجواهر والثِّياب بمثل ذلك.

السنة الرَّابعة والثَّمانون وخمس مئة

فيها جهَّز الخليفةُ ابنَ يونس ـ وكان قد استوزره ـ إلى هَمَذَان، فخرج ليلة الثلاثاء ثامن عشرين المحرَّم نصف الليل، وسار في العساكر للقاء السُّلْطان طغريل على هَمَذَان، وكان قد بعث إلى الخليفة يطلُبُ السَّلْطنة، فأخرج الأموال، وجَهَّز جيشاً عظيماً قدَّم عليهم ابنَ يونس، وكان في جُمْلة الأمراء طُغْرُل صاحبُ البَصْرة، وأمير الحاج طاشْتِكِين، فأَنِفا من تقديم ابنِ يونس عليهما ولم يُعدَّاه، فقال ابنُ يونس: والله لأرمينَّهم في المهالك. وسار إلى باب هَمَذَان، والتقوا هناك، فقصَّر طُغْرُل وطاشْتِكِين، والتقاهم السُّلْطان، فكَسَرهم ومزَّقهم كلَّ ممزَّق، وقَتَلوا وأسروا، وأُخذ الوزير ابنُ

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ٥٦٢، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٦٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٣٠٢ـ٣٠٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٦٤ـ١٦٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

يونس، [وكان محلوق الرأس][1]، فأحضروه بين يدي السُّلْطان، فألبسه طُرْطُوراً أحمر فيه جَلاجِل[2]، وجعل يضحك عليه، ولم يصل إلى بغداد من العسكر إلا القليل، فتقطَّعوا في الجبال، وماتوا عطشاً وجوعاً، [وكانت هذه الوقعة من جنس وقعة المسترشد][1]، وأُخذت خزائن الخليفة وخَيْله ومماليكه، [وقيل: كانت أعظم، وعمل الناس الأشعار فيها][1]، فقال أحمد بن الواثق بالله: [من الخفيف]

أُتركونا من جائحاتِ الجريمَهْ ... طلعةً طلعةً تكونُ وخيمهْ
بركاتُ الوزيرِ قد شَمَلَتْنا ... فلهذا أمورُنا مُسْتقيمهْ
خَرَجَ الجُنْدُ يَطْلبون خُرَاسا ... نَ جميعاً بأُبَّهاتٍ عظيمهْ
بخيولٍ وعُدَّةٍ وعديدٍ ... وسيوفٍ مجرَّباتٍ قديمهْ
ووزيرٍ وطاقِ طُنْبٍ ونَقْشٍ ... وخيولٍ مُعَدَّةٍ للهزيمهْ
هُمْ رأَوْا غُرَّة العدوِّ وقد أقـ ... ـبل ولَّوا وانحلَّ عَقْدُ العزيمهْ
وأتونا بأَوْجُهٍ كالصحاتِ ... خاضعاتٍ مسوَّداتٍ ذميمهْ
لو رأى صاحب الزمان ولو عا ... ينَ أفعالهم وعُظْم المَلِيْمهْ
قابل الكُلَّ بالنَّكالِ وناهيـ ... ـكَ بها سُبَّةً عليهم مقيمهْ

واستوزر الخليفة أبا المعالي سعيد بن علي ابن حديدة، ورتَّب اسفنديار الواعظ في كتابة الإنشاء بديوان الخليفة، وكان يلقب بالموفَّق، فلقب بمؤيَّد الدين، وخُلِعَ عليه.

وفيها نَزَلَ السُّلْطان على كوكب، فرآها تحتاج إلى قتال ومصابرة، فوكَّل بها قَيْماز النَّجْمي، ووكَّل بصفد طُغْريل الجانْدار، وبَعَثَ إلى الكَرَك والشَّوْبك كوجبا صِهْر السُّلْطان، وكانت هذه الحصون الأربعة أحصنَ القِلاع، ومسالكها صعبة، فرأى مطاولتها، وقَطْعَ الموادِّ عنها.

وسار السُّلْطان إلى ناحية الشَّمال في السَّاحل، ففتح عِدَّة حصون، منها أَنْطَرسوس، نازلها في جُمادى الأولى، وكان بها بُرْجان عظيمان، فأخربهما، وقتل مَنْ كان فيهما.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) الجلاجل: جمع، مفرده جُلْجُل: الجرس الصغير.

ومنها جَبَلَة، وكان قاضيها منصور بن نبيل، فأرسل إلى السُّلْطان يشير عليه بقَصْدها، وقيل: إن القاضي والأعيان خرجوا إليه، وهوَّنوا عليه أمرها، فسار من أنطرسوس، وعبر تحت المَرْقَب، وهو حِصْن الإسبتار في مكانٍ ضيِّق، وجاء أُسطول الفرنج من صِقِلِّية، واصطفتِ المراكب، ورموا بالزَّنبورك، فمنعوا العَسْكر من العبور، فصفَّ المسلمون الدَّرَق والجفاتي على السَّاحل، والرُّماة خَلْفها، وعبروا، وأخذ القاضي من السُّلْطان أماناً لأهل جَبَلَة، وسَبَقَ به إلى البلد، وكان إبرنس أَنْطاكية قد سلَّمها إلى القاضي، ووَثِقَ به في حِفْظها، فنازلها السُّلْطان، ففتح البلد يوم الجمعة ثاني عشر جُمادى الأُولى، وامتنع الحِصْن عليه يوماً، ثُمَّ سَلَّمه إليه يوم السبت بالأمان.

ومنها اللاذقية، سار إليها، وهي بلدةٌ كبيرة على السَّاحل، ولها قلعتان متَّصلتان على تلٍّ يشرف على البلد، ولها ميناء من أحسن المواضع، وهي من أطيبِ البلاد، وأحسنها عمارة، فحصرها السُّلْطان، وأقام عليها أياماً، ففتح البلد، وغَنِمَ المسلمون منه غنائم كثيرة، لأَنَّه كان بلدَ التُّجَّار، وفيه أموالهم، وكان فتح البلد يوم الخميس رابع وعشرين جُمادى الأُولى، فأصبح يوم الجمعة، فنازل القلعتين، وعلَّقوا النُّقوب، فصاحوا: الأمان. فأمنهم، فخرجوا بأموالهم وأهلهم إلى أنطاكية، وولاها السُّلْطان مملوكه سُنْقُر الخِلاطي، وشَرَعَ المُسْلمون في تشويهها، وقَلْع رخامها.

[قال العماد: ولقد كَثُرَ تأسفي على تلك العمارات كيف زالت، وعلى تلك الحالات كيف حالت، ولكن زاد سروري بأنها عادت للإسلام مرابع، ولشموسه مطالع][1].

وكتب العماد إلى [اليمن إلى][1] سيف الإسلام كتاباً منه في وصفها: وهي مدينةٌ جامعة، وخُطَّةٌ واسعة، معاقلها لا تُرام، وأعلاقها لا تُسام، وهي جنَّةٌ، وكان يسكنها أهلُ الجحيم، وطالما مكثت بالكُفْر دار بؤس، فعادت بالإسلام دار نعيم.

ومنها صِهْيَوْن، نازلها السُّلْطان تاسع عشرين جُمادى الأولى يوم الثلاثاء، وهي قلعة حصينةٌ في طرف الجبل، خنادقها أودية هائلة، وليس لها خندق محفورٌ إلا من ناحية واحدة، طوله سِتُّون ذراعاً، نُقِرَ في حجر، ولها ثلاثة أسوار، وكان على قُلَّتها[2]

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) القلّة: أعلى القلعة، انظر «معجم متن اللغة»: ٤/ ٦٣٩.

عَلَمٌ طويل، عليه صليب، فلما شارفها المُسْلمون وقع الصَّليب، فاستبشروا، ونَصَبوا عليها المجانيق، وصَعِدَ المسلمون سور الرَّبَض، وقاتلوا القلعة، فصاحوا: الأمان، وسَلَّموها ثاني جُمادى الآخرة، وبثَّ السُّلْطان عسكره وأولاده في تلك النَّاحية، فأخذوا جميع الحصون التي بها، بعضها عَنْوَةً وبعضها صُلْحاً، مثل حِصْن بلاطُنُس، وقلعة الجماهريين، وبَكَاس، والشُّغْر، وسُرْمانية، ودَرْبَساك، وبَغْرَاس، وأخرب السُّلْطان معظمها، ومن أَحْصنها حِصْن بُرْزَيَه، وهو على سِنِّ جبلٍ شاهق، يُضْرب به المَثَل في المَنَعة والقوَّة، وعلوُّ القلعة خمس مئة وسبعين ذراعاً، من جوانبها أوديةٌ تحيطُ بها، وصاحبها زوج أُخت البرنس صاحب أنطاكية، وتعرف زوجته بدام سِبِيل وكانت عَيْناً للسُّلْطان على الفرنج، والسلطان يُهْدِي إليها ويلاطِفُها، وقاتَلَ السُّلْطان القلعة، ففتحها عَنْوَة، وأَسَرَها وزوجها وأولادها، فأحسنَ السُّلْطان إليهم وأطلقهم، وبعث معهم مَنْ أوصلهم إلى أنطاكية، فزادت محبتها للسُّلْطان، ومناصحتها له.

وقال العماد: وآخر ما فتحنا حصن بُرْزَيَه الذي تُضْرب به الأمثال، ولا تَرْقَى إلى ذُرْوته مُنَى الآمال، فأخذناه بالسَّيف عَنْوَة، وفتحناه ضَحْوة، فيا لها ضحوة أظلمت على أهل التَّثْليث، واشتغل المؤمنون عن ذكر الفتوح القديمة بهذا الفتح الحديث، ولو وكلنا إلى اجتهادنا في هذا الفتح وإلى نفوسنا لتعذَّر، ولكن الله سبحانه وتعالى سَهَّلَ ويَسَّر. وسَلَّم السُّلْطان دَرْبَساك إلى عَلَم الدِّين سليمان بن علي بن جَنْدَر، وهي قلعةٌ حصينة، قريبةٌ من أنطاكية.

ذِكْرُ عَقْد الهُدْنة بين السُّلْطان وإبرنس أنطاكية:

ولما فتح السُّلْطان هذه الحصون سار يقصد أنطاكية، فنزل الجسر الحديد، فضَعُفَ قلب إبرنس أنطاكية، فراسل السُّلْطان وهاداه، وكانت العساكر الشرقية قد ضَجِرَتْ، وخصوصاً عماد الدين صاحب سِنْجار، وطال عليه المقام، وضعفت هِمَمُ العساكر عن القتال، فهادنه السلطان ثمانية أشهر بمقدار ما تستريح العساكر الشرقية، ويُطلق جميعَ مَنْ عنده مِنْ أُسارى المسلمين، فإنْ جاء الفرنج نجدةً، وإلا سَلَّموا أنطاكية.

وبعث شمس الدولة ابن مُنْقذ ليخلِّص الأُسارى.

وسار السُّلْطان إلى حلب مودِّعاً لعماد الدين زَنْكي، فودَّعه، وقدَّمَ له من التُّحَف والألطاف والخيل العِتاق والثياب [الفاخرة][1] ما حيَّره، وكذا فعل بمُظَفَّر الدِّين ابن زين الدين والأمراء، وبات [السلطان][1] بحلب ليلةً واحدة، وعاد طالباً دمشق، ومعه مهنَّا أمير المدينة [وكنيته أبو فَلِيْتة][1]، وكان ميمون النَّقيبة، مبارك الطَّلْعة، [وكان السلطان قد تيمن بطلعته][1]، ما حضر مع السُّلْطان بلداً إلا فتحه، وكان تقيّ الدين بحماة، فأصْعَدَ السُّلْطانَ إلى القلعة، وكان تَلُّها قصيراً، فرفعه تقيُّ الدِّين، وعمرها العمارة الوثيقة، فأعطاه جَبَلَة واللاذقية مضافاً إلى حماة، وكان السُّلْطان قد جعل طريقه على المَعَرَّة، فزار عمر بن عبد العزيز ﷺ، والشيخ أبا زكريا المَغْربي، ثم دخل دمشق في رمضان.

وفي رمضان وَصَلَ وزيرُ الخليفة ابن يونس إلى بغداد من كسرة [السلطان][1] طغريل، وكان الخليفة قد كتب إلى بكتمر صاحب خِلاط ليطلبه من طغريل، وكان قزل أخو البهلوان قد حشد [وجمع][1]، والتقى طغريل على هَمَذَان، فانهزم طغريل إلى خِلاط، ومعه ابنُ يونس، فأنكر عليه بكتمر ما فعل بالوزير وعسكر الخليفة، فقال: هم بدوني وبغوا عليَّ، والبادي أظلم. فقال له: أطلقِ الوزير. فلم يمكنه مخالفته، فأطلقه، فبعث إليه بكتمر الخيل والبغال والمماليك والخدم، فردَّ الجميع، وأخذ بغلين ببرذعتين، فركب هو واحداً وغلامه الآخر، ولبس الطرطور كأنَّه صوفي، ووصل إلى المَوْصل مع قافلةٍ، وعَلِمَ به صاحبُ المَوْصل، ففعل معه فعل بكتمر، فلم يأخذ شيئاً وقال: أُريد سفينة. فأعطاه [سفينة][1]، فنزل فيها إلى بغداد، وصَعِدَ إلى منزله، ولم يشعر به أحد، وعلم الخليفة، فأنكر على الوزير ابنِ حديدة حيث لم يعلم بوصوله، وكان ذلك أول ما أُخذ على ابن حديدة.

وفي ثامن عشرين رمضان عُزل اسفنديار عن كتابة الإنشاء، ورُتِّب مكانه أبو الفضل ابن القَصَّاب، وخُلِعَ عليه، ولقِّب مؤيَّد الدين، [قال ابنُ القادسي][1]: كان اسفنديار من أهل العِلْم والدِّين، فلما ولي لَبِسَ الحرير، وتختَّم بالذهب، وكان يركب في غير شيء، ويدخل في درب درب ليصاح بين يديه: بسم الله، بسم الله.

(١) ما بين حاصرتين من (م).

قال المصنف رحمه الله: وفي شوَّال جلس جدِّي ـ رحمه الله ـ في دار الوزير ابن حديدة، ونسبه إلى الأنصار، وقال في حديث السقيفة: إنَّ أبا بكر ﷺ قال للأنصار يوم السقيفة: نحن الأُمراء وأنتم الوزراء، فميراث معين الدِّين لا عن كلالة. ثم قال: وما يصلح لدولة الإمام النَّاصر إلا الأنصار، وقُرىء بين يديه في ذلك اليوم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] فقال: سبحان الذي قدَّم نبيَّنا على سائر الأنبياء، وأُمَّتَنا على الأُمم، وكتابنا على الأسفار، فأين البُرْهان من زهادنا، وأين من علمائنا الأحبار، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص: ٦٨] وأين أصحاب موسى من ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[التوبة: ٤٠] كم بين مَنْ قال: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا﴾[المائدة: ٢٤] إلى فاتح الأمصار، أَلَهُمْ كَرَمُ المُنْفِقِ في زمان الإعسار؟ أفي المتقدِّمين كالمقدَّم في العِلْم والشَّجاعة البطل المِغْوار؟ كان الرسول يخصُّه بالخصائص، ويطلعه على الأسرار، وإذا حَمِيَ الوطيس رمى به في لجج البحار والأخطار، بارز يوم بدر عُتْبة وشيبة والوليد الكُفَّار، وعمره يومئذٍ عشرون سنة، فغلب الصَّغيرُ الكبارَ، كان جبريل عن يمينه وإسرافيل عن اليسار، فوصف الحقُّ ما جرى بين أهل الرِّبْح والخَسَار: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[الحج: ١٩] ومنه الحسن والحسين، فيا حُسْنَ تلك الثِّمار، وزوجته البَتُول بنتُ المصطفى المختار، وجَمْعُ من شَهِدَ بدراً ثلاث مئة وثلاثة عشر، هم أفضل الصَّحابة الأخيار، فمن المهاجرين مئة وثلاثة وثمانون، منهم الخلفاء الأربعة، وصُهَيْب وبلال وعمار، ومئتان وثلاثون كلُّهم من الأنصار، فمن الأوس ثلاثة وستون، ومن الخزرج مئة وسبعة وستون، فالخزرج أفضلُ في المِقْدار، فمنهم قُطْبة ابن عامر بن حديدة، ويزيد بن عامر بن حديدة، وسُلَيْم بن عمرو ابن حديدة، وهم ساداتُ الخزرج الأبرار، هذا هو الفَخْرُ يا معين الدِّين، وما الحُلِيّ المملوك كالمُسْتعار، يا له من نَسَبٍ إذا تضوَّع بين الخَلْق زاد على جُونة العَطَّار، وإذا سال سَيْلُ كَرَمه أقرب السَّواقي للبحار، عَدْلُ المولى الوزير حُلِيّ ومجلسي سِوار، يا قومنا أقمارُ لَفْظي طلعت بالنَّهار، وأنشد: [من المتقارب]

وحُرْمة شُعْثٍ على كلِّ نِضْوٍ ... بَرَاهُنَّ من ألمٍ ما بَرَاني
إذا ذكَّرَتْها الحُدَاةُ الهوى ... قَطَعْنَ البُرَى قَطْعَ وَجْدي عِناني

openkotob.com

تطايَرْنَ والشَّوْقُ يُدْني مُنًى وكلُّ المُنَى عند ذاك المكانِ
فلما عَلَوْنَ فويقَ الكثيبِ تراءَيْنَ ذاك البريقَ اليمانِ
وبَشَّرَ نَشْرُ نسيمِ الحبيب بقُرْب الدِّيار ونَيْلِ الأماني
لقد كَمَّلَ اللهُ هذا الوزير فليس له مُشْبِهٌ في الزَّمانِ
أتخبِرُ عن كَرَمِ السَّابقين تأمَّلْ وخُذْ في حديثِ العِيان

من أبيات.

وفي شوَّال عَزَلَ الخليفةُ أبا طالب ابن زبادة عن أستاذ الدَّارية، ورتَّب مكانه أبا الحسن علي بن بختيار، وبَرَزَ توقيع الخليفة إليه: ما عَزَلْناك عن خيانةٍ ولا جناية، ولكن للملوك أسرار خفية لا يطَّلع عليها العامة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص: ٨٨]. فكَتَبَ ابنُ زبادة إلى الخليفة: [من الكامل]

أوقعتَ عَبْدَك في بحارِ وساوسٍ مَنَعَتْ محاجِرَه عن الإغماضِ
وَثَنَيْتَ عِطْفَك عن عوائدك التي عُوِّدْتُها من خُلْقِكَ الفَضْفَاضِ
وتقولُ إنِّي لستُ غضباناً ولل أسرارِ بَرْقٌ صادِقُ الإيماضِ
هَبْ أنَّ ذلك ليس من سَخَطٍ فمنْ يَدْري مع الإعراض أنَّك راضي

وفي رمضان تسلَّم السُّلْطان الكَرَك، فَنِيَتْ أزوادهم، فسلَّموا.

قال العماد: وتسلَّمْنا الكَرَك، وكان صاحبه يحدِّث نفسه بقَصْد الحجاز، وقد نَصَبَ أشراك إشراكه منه على طُرُقِ الاجتياز، فأذقناه عام أوَّل كأس الحِمام، وملكنا حِصْنه الذي كان يعتصم به في هذا العام، وتَمَّ بأَخْذِ هذا الحِصْن أَمْنُ البيتِ الحرام.

وفي رمضان تسلَّم السُّلْطان قلعة صفد، خَرَجَ إليها بالعساكر، ونَصَبَ عليها بالمجانيق، فصاحوا: الأمان، بعد أن قاتلوا قتالاً شديداً.

وفي ذي القَعْدة فُتِحَتْ كوكب، سار السُّلْطان إليها وضايقها، وتعلَّق بها النَّقابون، فصاحوا: الأمان. وكان قد جاء مطرٌ عظيم.

قال العماد: وسرنا إلى كوكب، فوجدناها في مَنَاط الكوكب، كأنَّها وكر العَنْقاء، أو منزل العَوَّاء، وبها كلابٌ عاوية، وذئاب غاوية، وكان الوقت صَعْباً، والغيثُ سَكْباً، وتكاثرتِ السُّيول، وتكاثفتِ الوحول.

وسار الفاضل إلى مِصْر لأمرٍ عَرَضَ له، وودَّعه السُّلْطان، وأعطى السُّلْطان أخاه العادل الكَرَك، وأَخَذَ منه عسقلان، وبَعَثَ بالعساكر المِصْرية إلى مِصْر، والشَّامية إلى الشَّام.

ثم سار إلى عكا بخواصِّه، فأقام بقية هذا العام.

وحجَّ من العراق طاشْتِكِين.

وفيها توفي

أسامة بن مُرْشد بن علي[1]

ابن المُقَلَّد بن نَصْر بن مُنْقِذ، أبو الحارث، مؤَيَّد الدولة، مجد الدين، الكِناني.

ولد بشَيْزَر سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، وكانت له اليد البيضاء في الأدب والكتابة والشِّعْر، غزيرَ العقل، كثيرَ الفَضْل، حسنَ التَّدْبير، مليحَ التَّصانيف، فارساً شجاعاً، يحفظ عشرين ألف بيت من شِعْر الجاهلية، قَدِمَ بغداد في أيام المسترشد عند محاربته صدقة بن دُبَيْس، ولم يعبر الجانب الشَّرْقي، وقدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وخرج إلى مِصْر، فأقام بها، ثم عاد إلى حماة، فسكنها.

وقال العماد الكاتب: كان من الأُمراء الفضلاء، ومتَّعه بطول البقاء، وهو من المعدودين في شجعان الشَّام وفرسان الإسلام، أُسامة كاسمه في قوة نثره ونَظْمه، لَزِمَ طريق السَّلامة، وتنكب سُبُل الملامة، انتقل إلى مِصْر في أيام الصَّالح بن رُزِّيك، ثم عاد إلى الشَّام، ومضى إلى حِصْن كيفا، فأقام به إلى أن ملك صلاح الدين دمشق سنة سبعين، كان ولده مُرْهَف ـ ويلقب بالعَضُد ـ جليسَ صلاحِ الدين ونديمه، فسأله السُّلْطان عنه، فقال: هو بحِصْن كيفا، فاستدعاه، وكان قد جاوَزَ ثمانين سنة، ثم انتقل إلى حماة، فتوفِّي بها في رمضان وقد بلغ ستاً وتسعين سنة، وله ديوان مشهور، وكان

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٤٩٨ـ٥٤٧ ، و«معجم الأدباء»: ٥/ ١٨٨ـ٢٤٥ ، «وفيات الأعيان»: ١/ ١٩٥ـ١٩٩ ، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٩٥ـ٩٦ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٦٥ـ١٦٦ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

السُّلْطان مُغْرًى بشعره، وكنت أرى ديوانه بين يدي السُّلْطان وهو يستحسنه، فمنه: [من البسيط]

يا مُدَّعي الصَّبْرَ عن أحبابه وله ... دمعٌ إذا عَنَّ ذِكْراهُمْ يُكَذِّبُهُ
خَلَّفْتَ قَلْبَك في أرضِ الشَّآم وقد ... أصبحتَ في مِصْرَ يا مغرورُ تَطْلُبُهُ
هلَّا غداةَ النَّوى استصحبته وإذا اخـ ... ـتارَ المُقامَ فهلَّا كنتَ تَصْحَبُهُ
أفردتَهُ بالأسى في دار غُرْبته ... وعُدْتَ لا عُدْتَ تبكيه وتَنْدُبُهُ
هيهاتَ قد حالتِ الأيامُ بينكما ... فَعَزِّ نَفْسك عما فاتَ مَطْلَبُهُ[1]

وقال في قلع الضِّرْس: [من البسيط]

وصاحبٍ لا أملُّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ... يشقى لنَفْعي ويسعى سَعْيَ مجتهدِ
لم أَلْقَه مُذْ تصاحبنا فمذْ نَظَرَتْ ... عيني عليه افترقنا فُرْقَةَ الأَبَدِ[2]

وقال: [من الكامل]

قالوا نَهَتْهُ الأربعونَ عن الصِّبا ... وأخو المشيبِ يجورُ ثُمَّتَ يهتدي
كم حار في ليل الشَّباب فَدَلَّه ... صُبْحُ المشيبِ على الطَّريق الأَرْشَدِ
وإذا عَدَدْتَ سنيَّ ثم نَقَصْتَها ... زَمَنَ الهموم فتلك ساعةُ مَوْلدي[3]

وقال في محبوس: [من الكامل]

حَبَسُوكَ والطَّيْرُ النَّواطقِ إنَّما ... حُبِسَتْ لميزتها عن الأَنْدَادِ
وتهيَّبوكَ وأنتَ مُوْدَعُ سِجْنهم ... وكذا السُّيوفُ تُهابُ في الأغمادِ
ما الحبسُ دارُ مهانةٍ لذوي العُلا ... لكنَّه كالغِيْلِ للآسادِ[4]

أخذه من قول القائل: [من السريع]

تَطْرقُ أهلَ الفَضْلِ دون الورى ... مصائبُ الدُّنيا وآفاتُها
كالطَّيْرِ لا يُحْبَسُ من جِنْسها ... إلا الذي تُطْرِبُ أصواتُها

(١) «الخريدة»: ١/ ٥١٨.
(٢) «الخريدة»: ٢/ ٤٩٩ـ٥٠٠.
(٣) «الخريدة»: ١/ ٥٠٠ـ٥٠١.
(٤) «الخريدة»: ١/ ٥٠٥.

وقال يمدح صلاح الدين: [من البسيط]

لازِلْتَ يا ملكَ الإسلامِ في نِعَمٍ ... قرينُها المُسْعِدانِ النَّصْرُ والظَّفَرُ
تُرْدِي الأعادي وتَسْتَصْفي ممالكَهُمْ ... وعونُكَ الماضيانِ السَّيْفُ والقَدَرُ
فأنتَ إسكندرُ الدُّنيا بنُورِكَ قد ... تضاءَلَ المظلمانِ الظُّلْمُ والضَّرَرُ
أَعَدْتَ للدَّهْرِ أيَّامَ الشَّباب وقد ... أظلَّه المُهْرِمانِ الشَّيْبُ والكِبَرُ
وجاد غَيْثُ نَدَاك المُسْلمين فمِنْ ... سحابه المُغْنِيان الدُّرُّ والبِدَرُ
وسِرْتَ سيرةَ عَدْلٍ في الأنام كما ... قضى به الصَّادِقانِ الشَّرْعُ والسُّوَرُ
فَثِقْ بنصرٍ على الكُفَّار إنَّهُمُ ... يُرْدِيْهُمُ المُهْلِكانِ الغَدْرُ والأَشَرُ
ثناهُمُ إذْ رأَوْا إقبالَ مُلْكِهِمُ ... إليهمُ المُزْعِجانِ الخوفُ والحَذَرُ
وما الفِرارُ بمُنْجيهم وخَلْفَهُمُ ... مِنْ بأسِهِ المُدْرِكان السُّمْرُ والبُتُرُ
وسوفَ يعفو غداً عنهمْ بصارِمِهِ ... وجيشُهُ المُخْبرانِ العَيْنُ والأَثَرُ
ولو رَقَوا في ذُرى ثَهْلانَ أَسْلَمَهُمْ ... لَسَيْفِهِ العاصِمان الحِصْن والوَزَرُ
قضى بتفضِيْله عمَّن تقدَّمه ... ما اسْتُوْدِعَ المُخْبرانِ الكُتْبُ والسِّيَرُ
عَدْلٌ به أَمِنَ الشَّاء المُهَمَّل أَنْ ... يَرُوْعَهُ الضَّاريانِ الذِّئْبُ والنَّمِرُ
وجودُ كفٍّ إذا انهلَّت تفرَّقَ في ... تيَّارها الزَّاخِران البحرُ والمَطَرُ
مكارمٌ جُمِعَتْ فيه توافَقَ في ... تَفْضيلها الأكرمانِ الخُبْرُ والخَبَرُ
فاسْلَمْ وعِشْ وابقَ للإسلام ما جَرَتِ الـ ... أفلاكُ والنَّيِّرانِ الشَّمْسُ والقَمَرُ[1]

وقال في أيام نور الدِّين [من البسيط]:

سلطانُنا زاهِدٌ والنَّاس قد زَهِدُوا ... له فكلٌّ على الخيراتِ مُنْكَمِشُ
أيامُهُ مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ طاهرةٌ ... من المعاصي وفيها الجوعُ والعَطَشُ[2]

ولما فارق مِصْر تأسَّف على فراقه الصَّالحُ بنُ رُزِّيك، وكان يحبّه، وراسله الصَّالح على أن يعودَ إلى مِصْر، فلم يجبه، وكَتَبَ إليه يطلب تجهيزَ أهله إلى الشَّام من أبياتٍ، أولها [من البسيط]:

---

(١) «الخريدة»: ١/ ٥٤٥ـ٥٤٦.

(٢) «الخريدة»: ١/ ٥١٦.

أجيرةَ القَلْبِ والفُسْطَاطُ دارُهُمُ ... لم تُصْقِبِ الدَّارُ لكن أَصْقَبَ الكَلَفُ
فارقْتُكُمْ مُكْرَهاً والقلبُ يُخْبِرُني ... أَنْ ليس لي عِوَضٌ منكُمْ ولا خَلَفُ
ولو تعوَّضْتُ بالدُّنيا غُبِنْتُ وهل ... يُعَوضُني عن نفيسِ الجوهر الصَّدَفُ
ولستُ أُنكر ما يأتي الزَّمانُ به ... كلُّ الورى لرزايا دَهْرِهِمْ هَدَفُ
وما أَسِفْتُ لأمرٍ فات مَطْلَبُهُ ... لكن لفُرْقة من فارَقْتُهُ الأَسَفُ[1]

فأمر الصَّالح شعراء الدَّوْلة أن يوازنوا قصيدته، وقال: وأنا معكم، وكتب الصَّالح إليه ـ وهي للصَّالح: [من البسيط]

آدابُكَ الغُرُّ بحرٌ ماله طَرَفُ ... في كلِّ سَمْعٍ بدا من حُسْنِهِ طُرَفُ
نقولُ لما أتانا ما بَعَثْتَ به ... هذا كتابٌ أتى أم روضةٌ أُنُفُ
إذا ذكرناك مجدَ الدِّين عاوَدَنا ... شوقٌ تجدَّدَ منه الوَجْدُ والأَسَفُ
يا مَنْ جفانا ولو قد شاءَ كان إلى ... جَنَابنا دونَ أهلِ الأرضِ يَنْعَطِفُ
فَمِلْ إلينا بآمالٍ محقَّقَةٍ ... وكُفَّ غَرْبَ دموعٍ دَمْعُها يَكِفُ
كفى اغتراباً فعجِّلْ بالإيابِ لنا ... فمنكَ لا عِوَضٌ نَلْقى ولا خَلَفُ[2]

وقال مهذَّب الدِّين [الحسن بن][3] علي بن الزُّبير: [من البسيط]

أحبابَنا مالنا عن بُعْدِكُمْ خَلَفُ ... وإن يكن فطويلُ الحُزْنِ والأَسَفُ
ولو جَرَيْتُمْ ولَمْع البَرْق في قَرَنٍ ... لكان مَعْ شكْوكُمْ مَعْ سَيْفه يَقِفُ[4]
يا لائمينا على أَنْ لا نراسلهم ... ما الوَجْدُ مما أطاقَتْ حَمْلَه الصُّحُفُ
وزادني ثقةً عِلْمي بعِلْمِكُمُ ... أن المحبَّةَ أضعافُ الذي أَصِفُ
حَبَوْتُمونا بدُرٍّ من قَرِيْضِكُمُ ... صدورُنا حيثُ ترويها له صَدَفُ
فاهتزَّ عِطْفُ مليكِ النَّاس كلِّهمُ ... لها وأيُّ كريمٍ ليس يَنْعَطِفُ

---

(١) «ديوان أسامة»: ٨٥.
(٢) «ديوان أسامة»: ١٨١ـ١٨٣.
(٣) ما بين حاصرتين من ترجمته في «خريدة القصر»، قسم شعراء مصر: ١/ ٢٠٤، وانظر «الروضتين»: ٢/ ٢٥.
(٤) كذا في (ح)، ولم يتبين لي معناه.

وأَطْـرَبَـتْـه مـعـانـيـه فـمـالَ بـه شـوقٌ إلـيـكـم ظـنَّـنـا أَنَّـه شَـغَـفُ
ومـا لـمِـثْـلِـكُـمُ عـن مِـثْـلِ دَوْلـتِـهِ ومِـثْـلُـهُ فـي جـمـيـعِ الأرض يَـنْـصَـرِفُ

وقال القاضي أبو عبد الله بن أبي جَرَادة[1]: [من البسيط]

مـا ضَـرَّهُـمْ يـوم جَـدَّ البَـيْـنُ لـو وَقَـفُـوا وزَوَّدُوا كَـلِـفـاً أودَى بـه كَـلَـفُ
أَسْـتَـوْدِعُ الـلـه أحـبـابـاً أَلِـفْـتُـهُـمُ لكن على تَلَفي يوم النَّوى ائتَلَفُوا
الـلـه يـعـلَـمُ أَنـي مُـغْـرَمٌ بـهـمُ وأنـني عـن هـواهُـمْ لـستُ أَنْـصَـرِفُ
فـهـل تـعـودُ لـيـالـي الـوَصْـلِ ثـانـيـةً ويصبحُ الشَّمْلُ فينا وهو مُؤْتَلِفُ[2]

فعزم على العَوْد لمِصْر، فَقُتِلَ الصَّالح، وقال أسامة: [من الطويل]

أراني نـهـارُ الـشَّـيْـبِ قَـصْـدِي وطـالـمـا تـجـاوزَ بـي لـيـلُ الـشَّـبـابِ سـبـيـلـي
وقـد كـان عُـذْري أنْ أضـلَّـنـيَ الـدُّجـى فـهـلْ لـيَ عُـذْرٌ والـصَّـبـاحُ دلـيـلـي

قال المصنِّف رحمه الله: وقد رأيتُ ولده العَضُد مُرْهَف[3] في الدِّيار المِصْرية سنة تسع وست مئة، وكان فاضلاً كَيِّساً، لطيفاً ظريفاً، متواضعاً مفنناً، وكان يحضُرُ مجالسي بالقاهرة، ويزورني، ويُنْشدني مقطَّعاتٍ من الأشعار، منها: [من الطويل]

ومـازالـتِ الأيـامُ تُـوْعِـدُنـي الـمُـنَـى بـلُـقْـيـاكَ حـتـى بَـرَّحَـتْ بـي وعُـوْدُهـا
فـلـمَّـا تـلاقَـيْـنـا افْـتَـرَقْـنـا فـلـيـتـنـا بـقـيـنـا عـلـى الـحـالِ الـتـي لا نـريـدُهـا

مجاهد الدِّين خالص بن عبد الله[4]

خادم الإمام النَّاصر، كان قريباً منه، سَلَّم إليه مماليكه الخواص، وكان سليم الصَّدْر، دَيِّناً، صلَّى به إمامٌ صلاة الفجر، فقرأ فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فرفع خالصٌ صوته في الصَّلاة، وقال: صَلَّى الله عليك يا

(١) كذا كنَّاه سبط ابن الجوزي هنا، والقرشي في «الجواهر المضية»: ٢/ ٧٣، وهو أبو علي الحسن بن علي بن عبد الله بن أبي جرادة، وسلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).
(٢) سلفت بعض هذه الأبيات في ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).
(٣) توفي مرهف سنة (٦١٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.
(٤) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٦.

رسولَ الله. فضحك القوم، وقطعوا الصَّلاة، فقال لهم خالص: مجانين أنتم! يقول الله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وأسكت أنا؟!

[وفيها توفيت

الإخلاطية، زوجة الإمام الناصر[١]

واسمها][٢] سَلْجوقي خاتون بنت قليج رسلان بن مسعود صاحب الرُّوم، ويقال: مسعود بن قاروت بك الإخلاطية.

قدمت بغداد سنة ثلاثٍ وثمانين، وحجَّت، وعادت إلى حِصْن كيفا، فمات زوجها، فعادت إلى بغداد سنة أربعٍ وثمانين، فتزوَّجها الخليفة، فحظيت عنده، فحكَّمها في داره وفي الخزائن والدولة، فتوفيت يوم الاثنين ثاني ربيع الأول فجأةً، فحزن عليها الخليفة حُزْناً [عظيماً][٢] لم يحزنه رجلٌ على امرأة، بحيث أقامت دورها ومقاصيرها سنين لم تفتح، وكانت كثيرةَ الصَّدقات والمعروف، وبَنَتْ عند عون ومعين تُرْبةً ودفنت بها، فبنى الخليفة إلى جانبها رباطاً للصُّوفية، ووقَفَ عليه وعلى التربة أوقافاً عظيمة، ونَقَلَ إلى التربة الكُتُبَ النَّفيسة، وأمر الناس بالتردُّد إلى تُرْبتها في كل ليلة رجب ونصف شعبان، ويحضر الوزير وأرباب الدولة والوعَّاظ والفقهاء والقُرَّاء، ويحضر الخليفة متخفياً، فيجلس في شُبَّاك، ويتكلَّم الوعَّاظ، وينشد الشعراء من وقت العَصْر إلى غروب الشمس، ويمضي الوزير وأرباب الدولة، ويبقى الوعَّاظ والقُرَّاء يعظون طول الليل، فإذا كان وقت السَّحر فُرِّقَتْ فيهم الحلاوات الكثيرة والخُشْكنانك[٣] وغير ذلك، وعمل لها سبيلاً يخرج عليها في كل سنة ينفق فيه أموال كثيرة.

---

(١) لها ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٦ ، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٨٨ ، «جهات الأئمة الخلفاء» لابن الساعي: ١١٥ـ١١٩ ، «الوافي بالوفيات»: ١٥/ ٢٩٦ ، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢٤٦ـ٢٤٧ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز أو الفستق، ويكون على هيئة هلال. انظر «المعرب»: ١٣٤ ، ودوزي: ١/ ٣٧٣ .

عيسى بن مودود فخر الدِّين[١]

صاحب تكريت، وكان له أخوة: علي وأزغش وغيرهما، فاغتاله عليٌّ فقتله، وأظهر أنَّ غِلْمانه قتلوه، وكان حَسَنَ السِّيرة، جَواداً لا يدَّخر شيئاً، ولا يردُّ سائلاً، ولا يخيِّب قاصداً، وكان فاضلاً، ومن شعره: [من الوافر]

أرى الأَيَّامَ محكوماً عليها ... ولا حُكْمَ لها فعلامَ عَتْبُ
فلا تتوهَمَنَّ الأَمرَ سَهْلاً ... أَمَا واللهِ إنَّ الأمرَ صَعْبُ
قضاءُ اللهِ مقدورٌ علينا ... ولكنْ فيه للإنسانِ كَسْبُ

محمد بن قائد[٢]

الشيخ الزَّاهد، من أهل أَوَانا: قرية كانت بالدُّجَيْل، كان صاحبَ كراماتٍ وإشارات ومجاهدات ورياضات، وكلامٍ على الخواطر، وبيانٍ عمَّا في الضَّمائر، وكان يجتمع عنده في المواسم خَلْقٌ عظيم، وكان قد أُقعد زماناً، فكان يُحمل في مِحَفَّة إلى الجامع يوم الجمعة، واستُشْهد في هذه السنة، وسببه أنه قَدِمَ أَوَانا واعظٌ يُعَرف بالزَّرْزور، فجلس بجامع أَوَانا، ونال من الصَّحابة، وكان سعود الخادم والي دُجَيْل حاضراً، فلم يُنْكر عليه، فقيل للشيخ محمد: الواعظُ يسبُّ الصَّحابة وسعود جالسٌ عنده ولا ينكر عليه، فقال: احملوني، فحملوه في مِحَفَّة إلى عند المنبر، فصاح على الزرزور: انزل يا كلب أنتَ ومن تعتزُّ به. وكان يدَّعي إلى سنان مقدَّم الإسماعيلية، وثار العوام، فرجموا الزرزور، وهَرَبَ سعود، وتعصَّب للواعظ قومٌ، وخلَّصوه من القَتْل، فهرب إلى الشَّام، واجتمع بسنان، [وحكى له صورة الحال][٣]، فيقال: إنَّ سنان بَعَثَ إليه رجلين في زِيِّ الصُّوفية، فجاءا إلى الشيخ، فأقاما عنده بالرِّباط تسعة أشهر يصومان ويصلِّيان وهو لا يعرفهما، [وكانا يتوقعان فرصة،][٣] فقال الشيخ يوم الأربعاء

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ٤٧٧ ، ١٢/ ٤٢ ، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٩٨ـ٥٠٠ .
(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٤/ ٣٥٢ .
(٣) ما بين حاصرتين من (م).

لأصحابه: يحدث ها هنا حادثة عظيمة. وكان عنده ودائع للنَّاس، فردَّها [على أصحابها][1]، وقال لخادمه: يا عبدَ الحميد، لك فيما يجري نصيب، فبعني إياه بالدولة تكون لك ـ والدولة بستان إلى جانب الرِّباط ـ فقال: ما أبيعك نصيبي بالجَنَّة، ولم يفهم إشارةَ الشيخ، فلما كان يوم الجمعة تهيَّأ الشيخ للصَّلاة، وكان أصحابه يأتون قبيل الصَّلاة، فيحملونه في المِحَفَّة إلى الجامع، فجلس عبدُ الحميد والإسماعيليان يقمعون باقِلَّى لأجل الإفطار عليه، والشيخ جالس [على][1] تختٍ صغير، وإلى جانبه طاقةٌ إلى أهله لا تُفْتح إلا في وقت الحاجة، فقام أحدُ الإسماعيليين، فأغلق باب الرِّباط، وجاء الآخر إلى الشيخ، فقال: يا سيدي، ناولني يَدَك لأُقبلها. فأعطاه يده، فصافحه باليسار، فقال: ويحك! وأين اليمين؟ فقال: هو ذا هي. وأخرج يده اليمنى وفيها السِّكِّين، فضربه بها في جَوْفه، فسقط ما في بطنه على التخت، وماتَ، وضَرَبَ الآخرُ عبدَ الحميد، فقتله، وقطعا خيط الباب، فوقع الصَّارخ وهربا، [وكان ابن قائد قد جاوز التسعين][1]، ومرَّا بين البساتين [ولم يعلم أحد، فمرَّا][1] على فلاحٍ يسقي بُسْتاناً، وبيده مَرٌّ [يعدل به الماء، فرآهما مريبين][1]، فَحَمَلَ على أحدهما فضربه بالمَرِّ، فَفَلَقَ رأسه فوقع ميتاً، وحَمَلَ الآخرُ على الفلاح، فاتَّقاه بالمَرِّ [ثم ضربه بالمرّ][1]، فقتله، وذلك إلهامٌ من الله تعالى، ثم وقف [الفلاح][1] يفكر ويقول: لِمَ قتلت هذين وعليهما زِيُّ الفقراء؟

وأما الشيخ محمد، فإنَّ أصحابه جاؤوا بالمِحَفَّة على العادة، فوجدوا الباب مُغْلقاً، فعالجوه، [فلم يقدروا على فتحه،][1] فكسروه، ودخلوا، وإذا بالشيخ على التَّخْت وأمعاؤه بين يديه، وعبد الحميد مقتولٌ عند التخت، فصاحوا، وانقلبت أَوَانا، وبَطَلَتْ صلاةُ الجمعة، ولم يبق بأَوانا أحدٌ إلا وقَصَدَ الرِّباط، ولفُّوا الشيخ في ثيابه، ودفنوه على حاله، وكان تحته جِلْدُ غَزَال ـ قال المصنف رحمه الله: وقد شاهدتُ دمه في سنة ست مئة وهو طريٌّ على الجلد ـ ودُفِنَ في الرِّباط، وسأل النَّاسُ عن الفقيرين، فعدما، فتيقنوا أنهما قُتِلا، وأما [الفلاح][1] الذي قتلهما، فلما سمع الضجة جاء إلى الرباط،

(١) ما بين حاصرتين من (م).

وسأل: مَنْ قَتَلَ الشيخ؟ قالوا: كان عنده فقيران من صفتهما كذا وكذا، فقال: تعالوا. فجاؤوا، فرأوهما قتيلين، فتعجبوا، وقالوا للرجل: عَلِمْتَ الغيب؟! قال: لا والله، بل أُلهمت إلهاماً، فأحرقوهما.

وأما سعود الخادم فإنَّ الخليفة سَخِطَ عليه، فاستصفى أمواله، ومات تحت الضَّرْب، وألقي في دِجْلة.

[وقد رُوي أن الشيخ عبد الله الأرمني حضر مقتل الشيخ محمد، وسنذكره في سنة إحدى وثلاثين وست مئة][1].

محمد بن محمد[2]

ابن عبد الله بن القاسم بن المُظَفَّر بن علي، أبو حامد ابن كمال الدين الشَّهْرُزُوري، ولي القضاء بالمَوْصل، وقدم بغداد رسولاً من صاحب المَوْصِل، فأكرمه الخليفةُ، وخَلَعَ عليه، وتوفي في جُمادى الأُولى. ومن شعره: [من الوافر]

ولـمَّـا شـابَ رأسُ الـدَّهْـرِ غـيـظـاً ... لِـمَـا قـاسـاه مـن فَـقْـدِ الـكـرامِ
أقـام يـمـيـطُ عـنـه الـشَّـيْـبَ عَـمْـداً ... ويـنـثُـرُ مـا أمـاطَ عـلـى الأنـامِ

السنة الخامسة والثمانون وخمس مئة

في المحرَّم أَمَرَ الخليفةُ أن يُعهَدَ إلى ولده أبي نَصْر محمد، وكان في العهد: وإنَّ أميرَ المؤمنين أَنْعَمَ النَّظر للمسلمين بتفويضِ عهده والإمامةِ من بعده إلى ولده عُدَّة الدُّنيا والدِّين أبي نصر محمد لما عَلِمَ من عَقله الرَّاجح، وهَدْيه الواضح. وذكر كلاماً بمعناه.

وبعث الخليفةُ ضياء الدِّين عبد الوهَّاب بن علي الصُّوفي ويعرف بابن سُكَيْنة إلى صلاح الدِّين في الخُطْبة، [وبَعَثَ إلى جميع الآفاق، فالتقاه السلطان][1]، فخطب له على المنابر، [وكان الخطيب بدمشق عبد الملك بن زيد الدَّوْلعي][1] وبعث جواب

(١) ما بين حاصرتين من (م)، وانظر ج٢٢/ ٣٢٩ من هذا الكتاب.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٢٩ـ٣٣٩، و«التكملة» للمنذري: ١/ ١٣٦ـ١٣٧، و«كتاب «الروضتين»: ٤/ ٢٣٨ـ٢٣٩، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٤٦ـ٢٤٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٦٠ـ٦١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.